



Received: 2024-02-11

Accepted: 2024-06-24

Published: 2024-06-25

Original Article

الوباء والطاعون في الجزائر في العهد العثماني (1671-1830م): الدايات أنموذجا***(Epidemics and plague in Algeria during the Ottoman Era [1671- 1830]:
The Deys as a Model)*****Ahmed Ould Beziou^a & Faisal @ Ahmad Faisal Bin Abdul Hamid^b**^a Ph.D Candidate, Department, Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia^b Associated Professor, Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia* Corresponding author, email: nagihamd1985@gmail.com**ملخص:**

يهدف هذا البحث إلى ذكر الأوبئة والطواعين التي حلت بالجزائر في فترة الدايات من العهد العثماني (1671-1830)، وآثارها السلبية، وبيان أسبابها، وكيفية انتشارها في الجزائر، ثم الوقاية منها. كما تكمن أهمية البحث في أنه يتناول موضوع مهم في تاريخ دايات الجزائر في العهد العثماني من جانبه السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وتأثير تلك الطواعين والأوبئة على الحاكم والمجتمع معاً، فغالباً ما يتزامن مع الطاعون انتشار القحط والمجاعة، وتعم الفوضى والثورات والتمردات في البلاد سواء من القبائل، وحتى من أعضاء الجيش الانكشاري على الدايات مما يوجب قتلهم واغتيلهم. وتتضح إشكالية هذه الدراسة في ثلاث نقاط رئيسية: أولاً: تكمن في نقص وشح المصادر العربية والغربية التي تحدثت عن تاريخ تلك الأوبئة في الجزائر، وحتى تلك المصادر القليلة فإنها تهتم بمدينة الجزائر دار السلطان والمناطق الكبرى كبايلك الشرق وبايلك الغرب، دون البوادي والمناطق الصحراوية الجنوبية. ثانياً: هل يلحق الحكومة الجزائرية في ذلك الوقت لوم وعتاب في كيفية العلاج والاحتراز من تلك الأوبئة قبل وقوعها، مع إمكانية الاحتراز منها بمنع السفن القادمة والمحملة بهذا الوباء من دخول موانئ الجزائر، أو العمل بالحجر الصحي المعمول به في البلدان الأوربية في ذلك الزمان حفاظاً على أنفسهم من انتقال العدوى. وأخيراً: هل كانت حكومة الجزائر لها الوفرة في الطب والعلاج والأدوية لهذه الأوبئة، أم كانت تكتفي بالرضا بالقدر أو الأعشاب الطبية المتداولة بين السكان، وهل وفرت الغذاء والحاجيات الأساسية كالقمح والشعير وغيرهما في أزمنة الأوبئة والتي بلغ بعضها عتقاً من الزمن، وهل حاربت ظاهرة

الاحتكار التجاري التي تستغله بعض ضعاف النفوس خاصة من طائفة اليهود. واستُخدم في هذه الدراسة المنهج التاريخي لأزمة تلك الأوبئة والطواعين، وأسبابها وآثارها، كما تناول المنهج التحليل النقدي لعلاج هذه الظاهرة والوقاية منها والاحتراز من تبعاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة هو محاولة جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع القليلة سواء العربية أو الغربية التي تناولت هذا الموضوع، ومعرفة أسباب تلك الأوبئة، وآثارها السيئة في المجتمع الجزائري على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: الوباء، الطاعون، الجزائر العثمانية، الدايات، التاريخ.

ABSTRACT

This research aims to discuss the epidemics and plagues that afflicted Algeria during the period of Ottoman rule (1671-1830), their negative effects, the reasons behind them, how they spread in Algeria, and preventive measures. The significance of the study lies in addressing a crucial topic in the history of Ottoman Algeria, encompassing political, cultural, social, and economic aspects, highlighting the impact of plagues on both the rulers and society. Often coinciding with plagues are famine and unrest, leading to chaos, revolutions, and rebellions across tribes and even among the Janissary forces, necessitating their killing and assassination. The study faces three main challenges: first, the scarcity of Arabic and Western sources discussing the history of these epidemics in Algeria, with limited focus on Algiers and major regions, neglecting the hinterlands and southern desert areas. Second, questioning whether the Algerian government at the time bears responsibility for the treatment and prevention of these epidemics, exploring possibilities such as preventing infected ships from entering Algerian ports or implementing quarantine measures practiced in European countries. Finally, examining whether the Algerian government had the resources in medicine and treatment for these epidemics, or if reliance on fate, traditional herbal remedies, and the availability of essential necessities during times of epidemics was the norm. The study employs a historical methodology for the periods of epidemics and plagues, their causes, and effects. Additionally, it utilizes critical analysis to address treatment, prevention, and the political, social, and economic consequences of these phenomena. The researcher's key findings include attempting to gather scientific material from the limited Arabic and Western sources on this topic, understanding the causes of epidemics, and examining their adverse effects on Algerian society in political, social, and economic dimensions.

Keywords: Epidemics; plague; Algeria; Ottoman Era & history.

المقدمة

امتدَّ العهد العثماني في الجزائر أزيد من ثلاثة قرون من سنة (1516م-1830م)، حيث مرَّ نظام الحكم فيها بأربعة أشكال مختلفة، ابتداءً بحكم البايبربايات (1516-1588م)، ثم الباشوات (1588-1659م)، فالأغوات (1659-1671م)، وأخيراً نظام الدايات (1671-1830م).

وتعتبر فترة الدايات من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر العثمانية، حيث دامت مدة 159 سنة، ابتداءً من سنة 1671م وانتهاءً إلى سنة 1830م، وهي تعادل نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر، عرفت فيها غالباً استقراراً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، حكم في هذه المرحلة 28 داياً وحاكماً، كان أولهم الداوي الحاج محمد التريكي، وآخرهم الداوي حسين رحم الله الجميع.

فاستقرت معالم الدولة الجزائرية المستقلة في هذا العهد عن الدولة العثمانية اسماً وشكلاً ومضموناً في السلم والحرب، داخلياً وخارجياً، فنظامها السياسي نظام إسلامي اختياري دستوري، مبني على الشورى والانتخاب، لها ميزانية مستقلة، وعملة خاصة بها، وعلمٌ متميز بها، وجيش قوي بريٍّ وبحريٍّ.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله: "امتازت الجزائر بأنها لم تكن محكومة بأسرة معينة، بل بنظام برلماني، كان يحتوي على بذور صالحة للديمقراطية، فالدايات في الجزائر كانوا يتولون الحكم بطريقة الانتخاب لا الوراثة، على عكس مصر وتونس وطرابلس ليبيا"⁽¹⁾.

وأما موضوع دراستنا ومبحثنا وهو حول الأوبئة والطواعين في عهد الدايات في الجزائر، تاريخه، وأسبابه، وعلاجه، وآثاره السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحاكم وحكومته وشعبه، وكيفية الاستفادة من ذلك في زماننا الحاضر.

وقبل البحث بهذه الدراسة التاريخية يستحسن بنا ذكر بعض التعاريف المهمة منها: كلمة "الوباء"، وتعريفه في اللغة: هو كل مرض عام، تقول: قد وبئت الأرض توباً وباءة فهي وبئة وأوبئة ووبئة وموبوءة إذ كثر مرضها⁽²⁾.

وفي اصطلاح الأطباء: اختلف في تعريفه الأطباء وأهل الاختصاص، فقال ابن زهر: هو المرض الذي يصيب أكثر أهل البلد، وأنهم يشتركون في استنشاق الهواء الفاسد. وعرفه ابن خاتمة الأندلسي: هو مرض عام للناس قتال غالباً عن سبب مشترك. كما نجد ابن الخطيب يصرح بأنه هو مرض حاد حار السبب سمي المادة يتصل بالروح بدءاً بواسطة الهواء⁽³⁾.

فمن مجموع تعاريف العلماء والأطباء أن الوباء هو مرض عام بكتيري حاد ناتج عن سبب رئيسي مشترك وهو فساد الهواء، يصيب الإنسان والحيوان معاً، وتكون سريعة الانتشار والعدوى من الشخص المصاب إلى الشخص السليم ينتقل عن طريق الهواء واللعاب، وحتى باللباس والقماش.

والصحيح أنه على فرق بين مصطلح الوباء والطاعون، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء ولا عكس حينئذ⁽⁴⁾.

وأنواع الوباء ثلاثة حسب ما أقره الأطباء: الطاعون العقدي: وهو عبارة عن خرجات ناتجة تظهر في بواطن الإبط والأفخاذ. والطاعون الدموي: وهي قروح تظهر في الجلد مصاحبة مع ارتفاع درجة حرارة الجسم. والطاعون الرئوي وهو أشده وأخطره يصيب الرئة، وهو ناشئ عن فساد الهواء كما نص عليه ابن سينا، ويؤكد ابن خلدون في مقدمته فيقول: "إذا فسد الهواء وقع المرض في الرئة وهو أشد وأخطر أنواع الطواعين فتكاً بالناس على الإطلاق لا يكاد يسلم منه أحد، ولا علاج له في الغالب"⁽⁵⁾.

وله أسباب أخرى ذكرها أهل العلم والأطباء منها طبيعية ومناخية: كالحرارة الزائدة، وزيادة الرطوبة، وكثرة التعفن، والهواء المتصاعد من الآبار التي يموت فيها الحيوانات، وكثرة جثث الإنسان في أيام الحروب والفتن⁽⁶⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، سنة 2007، (65/1).

(2) ينظر: الصحاح للجوهري 79/1، ولسان العرب لابن منظور 189/1.

(3) ينظر: كتاب الأغذية لابن زهر (ص 143)، تحصيل غرض القاصد لابن خاتمة (ص 162)، مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب (ص 38).

(4) ينظر: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، مزدور سمية، (ص 22).

(5) ينظر: مقدمة ابن خلدون (ص 473).

(6) ينظر: تحصيل غرض القاصد، ابن خاتمة (ص 166)، التيسير في مداواة، ابن زهر (ص 450).

بينما يختصر ابن زهر أسباب الأوبئة في ثلاث نقاط رئيسية: فساد الهواء، وفساد الماء، وفساد الغذاء⁽⁷⁾. والوباء المشهور الذي مرّ بالعالم أسره في سنة 2019م، والمسمى بوباء كورونا كوفيد 19، والذي يصيب الرئة، فقد وقع نحوه سنة 749هـ/1348م، والذي سمي بطاعون الجارف، وبالطاعون الأعظم، وبالطاعون الأسود، وعاصره المؤرخ ابن خلدون رحمه الله، وهلك فيه عائلته وجميع شيوخه يصفه قائلاً: "إلى أن جاء الطاعون الجارف وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله"⁽⁸⁾. وقال فيه أيضاً: "تحتف الأمم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاه"⁽⁹⁾.

وكان أصل هذا الوباء ومبدأ انتشاره من بلاد الخطأ، وهي ضمن حدود الصين اليوم، ثم عمّ جميع بلاد العالم كلها، حسب ما ذكره مفصلاً المقرئ رحمه الله⁽¹⁰⁾.

وقد رتبت هذا البحث على مقدمة، وأحداث متسلسلة عبر السنوات الأحداث فالأحداث، ثم ذكرت أسباب الوباء، وعلاجه، وآثاره على الحكومة والأشخاص، وختمت البحث بخاتمة وثبتا للمصادر والمراجع.

فأقول -وبالله التوفيق:- لا تخلو فترة من فترات التاريخ الجزائري في العهد العثماني من وقوع الوباء وانتشاره في ربوع البلاد غربيها وشرقيها وحتى جنوبيها، مع أن انتشاره غالباً يكون في المناطق الشمالية وبالخصوص من ميناء الجزائر أو ميناء عنابة شرق البلاد حيث ترد السفن العربية والأجنبية الجالبة للوباء من خارج البلاد.

ويضيف الدكتور أرزقي شويتام أن أكثر ما كان يصيب الوباء في الجزائر خلال العهد العثماني الجنود الانكشارية لتواجدهم الكثير في الثكنات العسكرية، وأنه كان سبباً وعاملاً لتدهور الجيش⁽¹¹⁾.

فكان أول ظهور للطاعون في الجزائر في العهد العثماني سنة 1552م، وأخطره الواقع في سنة 1817م، حيث بلغ ضحاياه 20 ألف شخص.

فأول وباء في عهد الدايات ظهر في فترة الداوي الحاج محمد (1082-1093هـ / 1671-1682م)، وهو أول الدايات، فقد تعرضت الجزائر لوباء استمر لمدة سنة كاملة، وذلك ابتداءً من سنة 1672م⁽¹²⁾.

وفي عهد الداوي بابا حسن شاوش (1093-1095هـ / 1682-1683م) انتشر الوباء في الجزائر، وأعقبه مباشرة قحط شديد، فارتفعت الأسعار ثلاثة أضعاف، وذلك في بداية سنة 1683م⁽¹³⁾.

وأما بداية حكم الداوي أحمد الأعجي (1106-1109هـ / 1695-1698م) فقد عرف انتشار الوباء في الجزائر، وقتل أكثر من 20 ألف شخص، واستمر لمدة أربع سنوات، مات منه معظم الأسرى المسيحيين⁽¹⁴⁾.

وعندما استلم الحكم الداوي محمد بن حسن أفندي (1130-1136هـ / 1718-1724م) كانت حالة الجزائر

(7) ينظر: التيسير في مداواة، ابن زهر (ص 450).

(8) ينظر: التعريف بابن خلدون (ص 64-65).

(9) ينظر: مقدمة ابن خلدون (ص 38).

(10) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 81/4-

(11) ينظر: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، أرزقي شويتام، (ص 38).

(12) انظر: التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ... (ص 415).

(13) انظر: التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ... (ص 423).

(14) ينظر: المصدر السابق ... (ص 451).

سيئة للغاية، وذلك بسبب ما أحدثته الزلازل سنة 1717م والذي استمر لمدة تسعة أشهر، فيحدثنا عنه الطبيب الرحالة الفرنسي جون أندري بيسونال -والذي زار الجزائر سنة 1725م- قائلاً: "تعرضت هذه المدينة -مدينة الجزائر- إلى هزات زلزالية عنيفة سنة 1717م حيث غادرها كل سكانها عدا الداي وأعضاء مجلس الديوان حيث امتلأت الأرياف المجاورة للمدينة بالخيام التي نصبها السكان طوال التسعة أشهر التي استغرقها الزلزال"⁽¹⁵⁾.

وقد تلى هذا الزلزال المدمر قحطٌ شديد استمر لسنوات، تلفت فيه المحاصيل، وانتشرت بسببه المجاعة والوباء في جميع المناطق، وتزامن ذلك ظهور الجراد، فمات عدد كبير من الأهالي والأسرى المتواجدين في الجزائر، واضطر سكان القبائل بنهب وسلب السهول، فاضطر الداي محمد لاتخاذ إجراءات قاسية وصارمة بغية إعادة الهدوء للمدينة وضواحيها⁽¹⁶⁾.

فاغتمت يهود الجزائر ضعف الحالة المادية للبلاد في التقرب من الداي محمد بن حسن لحاجته للنقود، وهكذا أغرقه اليهود بالمال، واحتلوا لديه مكانة خاصة، وكان آنذاك رئيس الجمعية اليهودية يودا كوهين⁽¹⁷⁾.

قامت بعض القبائل بسهل متيجة بالتمرد لمدة ثلاث سنوات، تمكن قائد متيجة من القضاء على التمرد، وطردهم إلى الطرف الآخر من نهر يسر⁽¹⁸⁾.

ويزيد وضوحاً حول أسباب انتشار هذا الطاعون في الجزائر ما ذكره الدبلوماسي الفرنسي لوجي دو طاسي -الذي شغل منصب كاتب سر القنصلية الفرنسية بالجزائر خلال سنتي 1717-1718م- فيقول: "لطالما اكتنوا في مملكة الجزائر على عدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب الطاعون أو لمنع انتشاره، حيث لديهم اعتقاد أنه من يفعل ذلك فإنه يعارض أحكام الله الأبدية، وعقيدة القدر المطلق، حيث أنني رأيت في عام 1718م وصول سفينة انجليزية محملة من الاسكندرية، حيث كان الطاعون بها عنيفاً .. وعلى الرغم من التأكيدات التي تم إبلاغها للداي بواسطة القناصل والطاقم تم شحن الحرير والقطن في نفس اليوم من وصوله دون وقوع أي حادث".

ثم يذكر هذا الدبلوماسي مستغرباً تغير الموقف الجزائري من الطاعون بعد سنتين والذي كان حازماً فيقول: "ومع ذلك أن الطاعون الذي دمر البروفانس -منطقة في جنوب فرنسا- نشر رعبه في كل مكان، ونسوا الأقدار في مدينة الجزائر لدرجة أن محمد داي لم يعيد السفن فقط التي جاءت من مرسيليا، لكنه رفض السماح بتلقي الرسائل التي كانت على متن هذه السفن"⁽¹⁹⁾.

وفي أثناء عهد الداي بابا إبراهيم بن رمضان الخرناجي (1145-1158هـ / 1732-1745م) تذكر المصادر أن سنة 1737م عرفت بعام الطاعون لأنه انتشر عبر الحواضر والبوادي حتى أن القنصل الفرنسي بالجزائر فالير راسل المصلحة الصحية بمرسيليا بالعبارات التالية: "يعود من جديد الطاعون محدثاً خسائر كبيرة في كل الإيالة، يحتمل أن يكون العدوى قد تسرب من إسبانيا"⁽²⁰⁾.

وقد توفي جراء هذا الطاعون العديد من السكان ولم يسلم منه حتى باي وهران يوسف بوشلاغم. ثم تكرر الوباء سنتي 1738 وفي جوان 1740م ويعود مصدره إلى سفينة فرنسية ناقلة للعدوى كانت قادمة من

(15) ينظر: جون أندري بيسونال، رحلة إلى إيالة الجزائر، ترجمة: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم، الجزائر، سنة 2023م، (ص 186).

(16) ينظر: المصدر السابق... (ص 468، 471).

(17) ينظر: المصدر السابق... (ص 469).

(18) ينظر: المصدر السابق... (ص 471).

(19) ينظر: لوجي دو طاسي، تاريخ مملكة الجزائر، ترجمة: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم، الجزائر، سنة 2023م، (ص 101).

(20) Le Maghreb avant la prise d'alger 1790-1830. L. Valensi, P 21.

ميناء الاسكندرية بمصر، وكان بحرتمها أثناء إقامتهم بها قد تعرضوا لمرض الطاعون، فمات معظمهم في الطريق، إلا أن هذه السفينة وضعت تحت الرقابة الصحية، وأجبرت على تطبيق الحجر الصحي على كل الطاقم وعلى البضائع أيضا، إلا أن الداى إبراهيم حال دون اتخاذ إجراءات وقائية صارمة، إذ أمر بإنزال البضائع -وكان فيها الوباء- وتسويقها، فتسبب ذلك في إحداث وانتشار الوباء كانت ضحيته الأولى الشخص الذي فتح حزمة البضائع، ثم قضى على (1000) ألف شخص خلال الأسبوع الأول فقط، واستمر لمدة ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى تونس وباشر الفتك بها⁽²¹⁾.

ثم عاود الظهور والانتشار بعد سنة فقط أي سنة 1741م في غرب البلاد، خاصة مستغانم وضواحيها، ثم خمد الوباء تدريجيا إلا أن عاد مجددا في مدينة الجزائر وقسنطينة في أبريل سنة 1742م مخلفا خسائر معتبرة قدرت ما بين 25 و 30 ضحية يوميا⁽²²⁾.

ويظهر أن هذا الوباء قد طال مكته في الجزائر، فنجد أن ابن حمادوش الجزائري ذكره في رحلته المؤرخة في محرم 1156هـ الموافق شهر فبراير 1743م⁽²³⁾.

ولما حاصر الداى إبراهيم كوشوك (1158-1161هـ / 1745-1748م) مدينة تونس في أبريل 1746م، ظهر الوباء في الجزائر، ففك الحصار، ورجع إلى الجزائر مباشرة، وذلك في نهاية ديسمبر 1746م إلا أنه لم يحدث خسائر بشرية هامة استنادا إلى مراسلات القنصل الفرنسي بالجزائر في ذلك الزمان⁽²⁴⁾.

وكان عهد الداى محمد بن بكير (1161-1167هـ / 1748-1754م) عهد أمن ورخاء وهو أول من أصدر وثيقة عهد الأمان بالجزائر، وذلك في 03 فيفري 1748م (القانون أو الدستور)، والتي تضمن تحقيق السلم والأمان السياسي والاجتماعي داخل الحكم الجزائري والإدارة الجزائرية، ومراعاة الوطن على الأغراض الشخصية، ومعاقبة كل من يريد زعزعة الأمن والاستقرار في الجزائر سواء من الانكشارية أو الرياس أو الموظفين الإداريين وغيرهم، حتى قال توما Toma القنصل الفرنسي بالجزائر في ذلك الوقت: "لا توجد مدينة في أوربا تتحلى بالنظام والانضباط مثلما تتحلى به مدينة الجزائر"⁽²⁵⁾.

ففي فترة هذا الداى تسرب إلى الجزائر الوباء عن طريق سفن الحجاج والقوافل التجارية القادمة من الشرق، فحلّ بالبلاد سنة 1752م، وكان أكثر انتشاره في منطقة قسنطينة وجيجل والقل، واستمر لمدة أربع سنوات متتالية، فكان يموت في كل شهر ما يقرب من ألف شخص.

وقد أشار إلى هذا الوباء الطبيب جان مارشيك -وكان شاهد عيان حيث وصف هذا الطاعون- وأنه بلغ عدد ضحاياه أكثر من 1700 ضحية⁽²⁶⁾.

وقد تزامن مع الطاعون انتشار القحط، وعمت الفوضى، وحدثت عدة ثورات، واستخدم الداى القوة للحد منها، وتمكن من إخمادها⁽²⁷⁾.

(21) ينظر: فلة القشاعي، الصحة والسكان أثناء العهد العثماني، (ص 73).

(22) ينظر: تاريخ الطب في الجزائر في أواخر العهد العثماني (ص 15).

(23) ينظر: رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق: أبو القاسم سعد الله (ص 30).

(24) ينظر: التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية (ص 508-509).

(25) ينظر: رسائل القنصل الفرنسي توما، مخزن الأوراق بالغرفة التجارية في مرسيليا. بواسطة (الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية)

(ص 510).

(26) La Peste en Afrique Septentrionale. Jean Marchika. P 97.

(27) ينظر: التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا (ص 514).

ثم استمرت ضربات الطاعون في عهد الداي علي بوصبع طوال سنوات 1756م إلى 1758م بشرق البلاد، ثم يعود من جديد سنة 1762م مصحوبا بزلزال عنيف دمر قنوات المياه أعقبه مجاعة هائلة بالسكان⁽²⁸⁾.

وأما عهد الداي محمد بن عثمان باشا المجاهد الشجاع (1179-1205هـ/ 1766م-1791م) فقد ظهر الوباء أولا سنة 1771م، ثم تلاه سنة 1785م في منطقة قسنطينة والقالبة وعنابة شرقاً، ووصل إلى وهران ومعسكر غرباً. ثم عاد بعد سنتين سنة 1787م وتفشى بمدينة الجزائر وسمي بالوباء الكبير، مات منهم خلق كبير قيل جاوز 17 ألف ضحية وصل في بعض الأيام إلى 500 ضحية يومياً، وقيل: مات فيه نصف سكان مدينة الجزائر وثلاث سكان عنابة، ثم زال في جويلية من نفس السنة، وانتقل إلى وهران غرب البلاد، فغدت البلاد خالية من الرجال حتى أن معظم المحاصيل بقيت دون أن تُجنى، واستمر لمدة عشر سنوات⁽²⁹⁾.

يقول الحاج أحمد الزهار نقيب الأشراف في مذكراته: (وفي سنة 1201هـ/1787م جاء الوباء للجزائر حتى وصل عدد الأموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى الوباء الكبير، وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1211هـ/1796م)⁽³⁰⁾. وذكره أيضا جون ميشال فونتير دو بارادي المبعوث الفرنسي إلى الجزائر سنة 1788م أنه كان بتاريخ 16 نوفمبر 1788م طاعون قضى على العديد من البحارة، ما يقرب من ستين رايسا من البحرية الجزائرية، وأكثر من سبعمئة عبد مسيحي في مدينة الجزائر فقط⁽³¹⁾.

وفي مارس سنة 1789م ضرب الوباء غرب الجزائر بسبب سفينة إسبانية لم تخضع للحجر الصحي⁽³²⁾. وجاء في بعض المصادر التاريخية تفسير وتوضيح لهذا الوباء وهو وباء الجدري وأنه استمر إلى سنة 1804م وانتشر بسرعة كبيرة محدثا هلعاً وسط السكان بحيث أودى بحياة عدد كبير، مما اضطر لإدخال التلقيح إلى الجزائر ولأول مرة من طرف الطبيب الفرنسي مارتينا نغو الذي كان مقيماً بالجزائر، ثم حذا حذوه أطباء آخرون كالطبيب أودراس وأسنتي اللذين أقاما في الجزائر مدة طويلة إلى أن وافتهم المنية⁽³³⁾.

وفي هذه الفترة ألف العالم الجزائري محمد بن رجب كتابه المشهور: (الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون)⁽³⁴⁾. ولم يصل هذا الوباء شرق الجزائر، لأن باي قسنطينة صالح باي فرض حزاماً صحياً حول عنابة وضواحيها لمنع انتقال وتسرب العدوى، كما فرض نظام الحجر الصحي على جميع المقاطعة⁽³⁵⁾.

(28) ينظر: الصحة والسكان أثناء العهد العثماني، فلة موساوي القشاعي (ص 77).

(29) ينظر: الزهار، الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف، (ص 51). ستيفن، جيمي ولسن، الأسرى الأمريكان في الجزائر... (ص 228). التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا (ص 547).

(30) ينظر: الزهار، الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف، (ص 51).

(31) ينظر: جون ميشال فونتير دو بارادي، الجزائر خلال القرن الثامن عشر، ترجمة: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم، الجزائر، سنة 2023م، (ص 61، 67، 74).

(32) ينظر: يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر، (ص 22).

(33) ينظر: يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر، (ص 59).

(34) ينظر: تاريخ الجزائر الثقاني، أبو القاسم سعد الله 423/2. معجم أعلام الجزائر عادل نويهض (ص 108-109). يقول عن الكتاب أبو القاسم سعد الله: (ولا ندري الآن حجم هذه الرسالة، ولكن يبدو أنها مهمة. فقد طالع صاحبها كتباً عديدة في الطب مثل قانون ابن سينا وتذكرة الإنطاكي ومفردات ابن البيطار حول الوباء والطاعون، وقد رآها صاحب (تعريف الخلف) فوجد أن محمود بن علي بن الأمين قد أضاف إليها مقدمة من سبعة فصول وخاتمة).

(35) ينظر: الزهار، الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف، (ص 51). ستيفن، جيمي ولسن، الأسرى الأمريكان في

ثم تلاه عهد الداي حسن بن حسين الخزناسي (1205-1212هـ/1791-1798م) فأصاب الوباء مدينة الجزائر أواخر سنة 1792م نقله إليها بحارة قدموا من القسطنطينية، والذين أفلتوا من رقابة الحجر الصحي، ثم انتشر إلى الأرياف ووصل إلى شرق البلاد، فكان يقتل يوميا ما بين الخمسين إلى المائة، واستمر هذا الوباء إلى سنة 1794م، وقد قامت السلطات المحلية بالتحرك وبذل مجهودات من أجل التصدي لهذا الوباء فأغلقت الموانئ ومنعت القادمين إليها من الدخول وعدم الاتصال بالبواخر المجهولة⁽³⁶⁾.

وفي عهد الداي مصطفى باشا (1212-1220هـ/1798-1805م) ظهر الوباء سنة 1799م وكان في أول أمره يحصد العديد من الأرواح، أحصاها بعض المؤرخين قرابة 100 شخص يوميا، وعلى إثره ارتفع سعر الصاع القمح إلى حوالي 28 فرنكا، وامتد ست سنوات كاملة⁽³⁷⁾.

ويرجع ارتفاع سعر القمح يومئذ إلى احتكار التجار اليهود - بوشناق - لمادة القمح والحبوب وغيرها - فأخرج الداي مصطفى باشا الكميات المخزن في بابلش الشرق (قسطنطينية)، وطرحها في أسواق الجزائر العاصمة، والبلدية، والقلعة. فانخفضت الأسعار، وتمكن الناس من الحصول على حاجاتهم من الحبوب بأسعار معقولة.

وفي سنة 1804م قدم الطاعون على متن سفينة من الشرق، ابتداء ظهوره بمدينة قسنطينة وقيل: عنابة، ثم عم جميع مناطق البلاد، اتفق كل من الطبيب جان مارشيك وغيون وبويك على أن هذا الوباء قدم من الشرق، إلا أنهم اختلفوا في تحديد المنطقة التي جاء منها، فيرى مارشيك أنها قادمة من سمرقند بالدولة العثمانية، ويقول غيون أنها من اليونان على متنها حجاج، بينما يذهب بويك أنها قادمة من البلقان، ومكث هذا الوباء في الجزائر أربع سنوات، وحصد العديد من الأرواح، وقد تزامن مع غزو الجراد والمجاعة⁽³⁸⁾.

وفي عهد الداي حاجي علي الشريف (1224-1230هـ/1809-1815م) اجتاحت الجراد على الجزائر، وأتلف المحاصيل والثمار، مما أدى إلى وقوع الغلاء في الحبوب والثمار، فأعطى الداي حاجي علي باشا القمح لجميع الخبازين، وجعل له سعراً على سعر أيام الرخاء، إلى أن زال الجراد، وأخصبت الأرض، ورخصت الأسعار، وذلك في سنة 1814م.

والذي نشاهده في عهد الداي عمر بن محمد باشا (1230-1232هـ/1815-1817م) أن فترة حكمه مليئة بالحروب والاضطرابات الداخلية والأوبئة والطواعين، حتى لُقّب بالداي المنحوس، فقد تعرض الأسطول الجزائري لهزيمتين: الأولى: أمام الأسطول الأمريكي في سنة 1815م، وثانياً أمام الأسطول المشترك بين هولندا وبريطانيا (حملة اللورد أكسموث) سنة 1817م.

وتزامن مع انتشار الوباء في كافة بلدان البحر المتوسط وشمال إفريقيا من مصر شرقاً إلى مراكش غرباً ابتداءً من سنة 1816م، وكان سبب ظهور هذا الوباء الفتاك بقدوم سفينة تركية محملة بالحجاج من ميناء الاسكندرية - وكانت يومئذ أرض وباء، ثم زادت حدته في صيف سنة 1817م، فكانت حصيلته قاتلة، وبقيت ذكراه عند الناس خالدة، مات منه المسلم والنصراني واليهودي، وشمل الغني والفقير، قيل: مات منه قرابة 14 ألف شخص، فتسبب إثر ذلك في قيام حالة تمرد

الجزائر... (ص 228). التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا (ص 547). مجاهد بمينة، تاريخ الطب في الجزائر، (ص 22) حمودي هدى ومصباحي حيزية، الأمراض والأوبئة في الجزائر، (ص 37).

(36) ينظر: الأمراض والأوبئة في الجزائر في أواخر العهد العثماني، حمودي هدى ومصباحي حيزية، (ص 38). الأوبئة والمجاعات في الجزائر، مصطفى خياطي، ترجمة: حضرية يوسف (ص 55).

(37) ينظر: المصدر السابق.

(38) ينظر: مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ترجمة: حضرية يوسف (ص 58).

وعصيان عمت مختلف مدن الجزائر، فاتفق الانكشارية على قتل الداوي عمر، فهاجموا قصره، وألقوا القبض عليه، وأعدموه شنقاً، وذلك في شهر شوال 1232هـ الموافق لـ 8 أكتوبر سنة 1817م⁽³⁹⁾.

ويؤيد هذا الطرح المؤرخ الجزائري الكبير المبارك الميلي فيصرح أن سبب اغتياله هو تشاءم العسكر بالداوي عمر ونحسه، فقد ظهر الوباء، واستشهد الرايس حميدو، والاعتداء على مدينة الجزائر من أمريكا وبريطانيا، فقرروا التخلص منه لذلك⁽⁴⁰⁾.

ثم استمر ذلك الوباء الكبير - كما تقدم- في عهد الداوي علي بن أحمد خوجة (1232-1233هـ/ 1817-1818م) فدام سبع سنوات كاملة إلى سنة 1824م، أدى إلى وفاة كثير من الجزائريين، كان على رأسهم الداوي علي خوجة نفسه، كما أنه أصاب العديد من الحيوانات كالماشية والخيول⁽⁴¹⁾.

قال الزباني في دليل الحيران: "ثم تولى علي خوجة باشا سنة 1232هـ، ومات بالوباء الذي حدث قبله، وبقي لتوليته"⁽⁴²⁾.

ويذكر القنصل الأمريكي بالجزائر وليام شالر أنه بعد انتشار الطاعون في الجزائر قصد الداوي علي خوجة، وأعلمه بأن إجراءات التفتيشية لهذه السفن في عرض البحر المتوسط لمعرفة السفن الصديقة والسفن العدو، يزيد من احتمال انتشار الطاعون، وأشار عليه بعدم زيارة حراسه للسفن الأمريكية في عرض البحر، وأن النتائج التي تترتب على فرض الحجر الصحي على تلك السفن باهظة التكاليف، مما يؤدي عاجلاً إلى عداوة الدول للجزائر، فرفض الداوي علي خوجة استثناء سفن الولايات المتحدة الأمريكية من تلك الإجراءات⁽⁴³⁾.

وختاماً عهد الداوي حسين صاندقلي 1233-1245هـ/ 1818-1830م) آخر الدايات، فتعتبر نصف فترة حكمه الأولى فترة وباء، وهو امتداد للطاعون السابق الذي ظهر في سنة 1818م، إلى أن ارتفع الوباء واختفى نهائياً سنة 1824م⁽⁴⁴⁾.

من خلال هاته الوقائع التاريخية في العهد الجزائري العثمانية نستفيد عدة أمور تتعلق بالوباء في فترة الدايات بالجزائر من الجانب التاريخي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، سواء من طرف الراعي (الحاكم) أو من طرف الرعية (الشعب)، وذلك في تسع نقاط مهمة:

أولاً: قد ذكر كثير من المؤرخين الجزائريين والغربيين أن الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية والوبائية، وإنما كانت الأمراض والأوبئة تصل إليها من الخارج، ولا يخلو من خمسة أشياء:

1- الحجاج القادمون من المشرق -وبالخصوص من ميناء الاسكندرية- كوباء سنة 1816م والذي دام أكثر من أربع سنوات، وصل إلى غاية مدينتي عنابة وقسنطينة شرق البلاد، وجعل سكان بجاية وجيجل يفرون إلى الجبال والأماكن العالية.

2- التجار الأوروبيون كالوباء القادم من إسبانيا سنة 1803م، والذي ذهب ضحيته قرابة 3000 شخص.

(39) ينظر: الزهار، الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف، .. (ص 127). التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، (ص 612).

(40) ينظر: الميلي، مبارك بن محمد الميلي الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث .. 264/3.

(41) ينظر: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (ص).

(42) ينظر: الزباني، محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران... (ص 247).

(43) ينظر: وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا وليام شالر .. (ص 176-177).

(44) ينظر: الأمراض والأوبئة في الجزائر في أواخر العهد العثماني ... (ص 39).

3- الفرق العسكرية الانكشارية من تركيا والدولة العثمانية المنضمون للجيش الجزائري، كوباء سنة 1793م والذي أصاب الجزائر العاصمة، ثم مدينتي البليدة وقسنطينة.

4- القوافل التجارية والبضائع والسلع خاصة من ميناء الاسكندرية بمصر —والذي يعتبر من أهم المراكز التي كانت تصدر الوباء لكونها همزة وصل بين الموانئ العثمانية والمغربية والأوربية وحتى الآسيوية.

5- انتقال الوباء بالمراسلات الإدارية والسياسية والدبلوماسية الأوربية⁽⁴⁵⁾.

يؤكد ذلك ما قاله نقيب الأشراف الحاج أحمد الزهار: (وكان الوباء يتسرب إلى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر، لذا نجد أول من كان يصاب به هم عمال الموانئ، وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد)⁽⁴⁶⁾.

وأشار إلى ذلك بوضوح الرحالة والجاوس الفرنسي بوتان في تقريره عن الجزائر أن الطاعون لم يكن ناتجا عن البيئة الجزائرية، فقد كان يأتي دائما من المشرق⁽⁴⁷⁾.

فنفهم حينئذ أنه في حالة إغلاق المنفذ البحري فلا مدخل للوباء غالباً، وهذا ما استشهد به المؤرخ الجزائري حمدان بن عثمان خوجة أن منذ تطبيق فرنسا للحصار البحري على الجزائر سنة 1827م إلى وقت تأليفه لكتابه "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء"، والذي ألفه سنة 1836م لم يظهر أثر الوباء بالجزائر لإحداث الفرنسيين للكرنتينة والحجر الصحي على جميع السفن والأشخاص القادمين من الشرق أو الغرب.

بينما يخالف هذه النظرية المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل فيؤكد أن مناخ البحر المتوسط يمتاز بكثرة وقوع الأوبئة والأمراض نظراً لحرارتها ورطوبتها الزائدتين، فهي تتأثر بالأبخرة بخلاف باقي المدن البعيدة عن الساحل⁽⁴⁸⁾.

لكن يحتاج رأي بروديل إلى دليل لما قالها، وإلا فبحسب ما نذكره أن جل الأوبئة التي وقعت بالجزائر إنما هي قادمة ومتسربة من بلد آخر، وليس حالة ومبتدأة في الجزائر.

ثانياً- يرى الرحالة الحسن بن محمد الوزان الفاسي المشهور بـ (ليون الإفريقي) بأن الوباء يظهر في بلاد البربر —ومنها الجزائر— على رأس كل عشر سنوات أو خمسة عشرة سنة أو خمسة وعشرين سنة⁽⁴⁹⁾.

وبالنظر إلى تواريخ الأوبئة التي سجلت المصادر حدوثها بالجزائر في فترة الدايات يسمح لنا تأييد كلام الرحالة الحسن الوزان وأنها دورية، بل أحيانا تكون أقل من عشر سنوات، وهذه سجل التواريخ من أولها إلى آخرها: (1672م- 1683- 1696- 1720- 1737- 1738- 1740- 1746- 1752- 1756- 1762- 1771- 1785- 1789- 1792- 1799- 1804- 1816- 1817 واستمر إلى سنة 1824م).

ثالثاً- حسب سجلات تواريخ الأوبئة في فترة الدايات من العهد العثماني بالجزائر كان تطول مدتها أحيانا لسنوات عدة كما في طاعون سنة 1784م إلى سنة 1798م حيث دام أربع عشر سنة، وكوباء سنة 1816م والذي انتهى سنة 1824م فدام ثمان سنوات، وربما يقتصر مكث الوباء على عدة أيام أو شهور لا يتجاوز السنة، وهو غالب الأوبئة التي ظهرت في الجزائر.

(45) ينظر: مجاهد ميمنة، تاريخ الطب في الجزائر، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2018م (ص 17).

(46) ينظر: مذكرات نقيب الأشراف الحاج أحمد الزهار، (ص 78).

(47) ينظر: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان (ص 54).

(48) ينظر: المتوسط والعالم المتوسطي، فرنان بروديل، ترجمة: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي، بيروت، سنة 1991م، ط1، (ص

67).

(49) ينظر: وصف إفريقيا 85/1.

وكان الوباء أحيانا يعم جميع مناطق البلاد، وأمرة أخرى لا يتعدى إلا المناطق الشمالية فقط، فنذكر في هذه الدراسة حالات الوباء في الجزائر عبر التسلسل الزمني مع ذكر اسم الداوي، وفترة ولايته، وأبرز ما أحدثه الوباء في البلاد، ومصدر الوباء، وكيف عولج من طرف الراعي والرعية، وآثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

رابعاً- جهود الدايات في الجانب الاقتصادي والاجتماعي في التصدي للوباء كاستفادة من خزائن الدولة، وإخراجها للسوق مباشرة، وتوفيرها للشعب أيام الأوبئة والمجاعات، وتمثل فيما يلي:

1- توزيع القمح والحبوب للخازين مباشرة، وتكليفهم بزيادة الانتاج لكفاية المواطنين، كما حدث في عهد الداوي حاجي علي سنة 1814م، فأعطى القمح لجميع الخبازين، وجعل له سعراً على سعر أيام الرخاء، إلى أن زال الجراد، وأخصبت الأرض، ورخصت الأسعار في نفس السنة.

أو يكون بتوزيع الحبوب والمحاصيل في حالات الأوبئة بسعر معقول، فلا يجمع للناس بين الوباء وارتفاع سعر المحاصيل.

2- عقوبة التجار المحتكرين، وكسر احتكارهم للسوق، كما حدث في عهد الداوي مصطفى باشا في وباء سنة 1799م وغيره .

3- بيان خطورة وجشع التجار أيام الأزمات والأوبئة ورفع الأسعار وتخزين المواد الغذائية الأساسية كالقمح والشعير، وهذا ما كان يفعله تجار اليهود في الجزائر، وخاصة منهم التاجر بوشناق.

4- وجوب اهتمام الحاكم بحال الرعية، وكفائتهم في أيام الأزمات، ذكر حمدان خوجة أن في زمن الطاعون كان لإدارة بيت المال نشاط يفوق جميع الإدارات الأخرى، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى، وتتولى التركات المهملة وتقوم بعمليات الميراث، إلا أن الجانب الصحي كان مهملًا من طرف الدايات فلم يبنوا المستشفيات والمراكز الصحية، ولم تكن في الجزائر إلا صيدلية واحدة⁽⁵⁰⁾.

ولهذا نجد وصية السلاطين والملوك لأبنائهم وأعضاء حكوماتهم بالرفق بالرعية أيام المحن والأوبئة والمجاعات، فهذا السلطان أبو حمو موسى الزياني⁽⁵¹⁾ يوصي ابنه ولي عهده فيقول: (إن كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة فترفق بهم في المخازن والمجاوي، وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحايي، وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم، فتعمر أسواقهم بما اختزنه من الطعام مما يقام به أود الناس في ذلك الزمان، فإذا كنت يا بني عاملاً على هذا الأسلوب جبلت على محبتك كل القلوب، ودعت لك الرعية ببقاء الدولة والتمهيد والنصر والتأييد، وفي ذلك الصلاح التام لدولتك والخير العام لرعيته)⁽⁵²⁾.

خامساً- الالتزام بالحجر الصحي كان معروفاً ومعمولاً به في بعض فترة الدايات، كما في سنوات 1740م

(50) ينظر: حمدان خوجة، إتحاف المنصفين ... (ص 136).

(51) هو موسى بن أبي يعقوب، أبو حمو الزياني من سلاطين الدولة الزيانية بتلمسان وضواحيها، ولد سنة 723هـ في غرناطة، وتلقى تعليمه الأول بها، ثم ارتحل إلى تلمسان صحبة والده بدعوة من حاكمها أبي تاشفين الأول، وواصل تحصيل العلم فيها وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره استولى المرينيون على تلمسان، فاضطر إلى الخروج مع أهله فارتحلوا إلى تونس الحفصية، ثم قفل راجعاً إلى منطقة الزاب واستجمع جيشاً من قبائل الدواودة، وحرر تلمسان من سيطرة المرينيين، وبذلك أحيى مجد الدولة الزيانية من جديد سنة 760هـ. كان لأبي حمو آثار فكرية ينم عن سعة اطلاعه وحسنه، فقد ازدهرت الدولة الزيانية في عهده في جميع المجالات، إذ تمكن من تكوين جيش قوي يحمي تلمسان، كما أقام علاقات مع بلاد الأندلس، وساند ملوك الطوائف فيها بالأموال والغذاء، وما اشتهر به أن بلاطه كان قبلة للشعراء والمؤرخين والعلماء ومن أهمهم يحيى بن خلدون أخو عبد الرحمان. وكانت وفاته على يد ابنه أبي تاشفين الذي ثار عليه فقتله بعد صراعات دامية، وكان ذلك سنة 790هـ.

(52) ينظر: واسطة السلوك في سياسة الملوك (ص 87).

و1787م و 1792م، وقد تقدم أن القنصل الأمريكي وليام شالر أشار على الداوي علي خوجة بذلك في وباء سنة 1818م.

وللعالم الجزائري والدبلوماسي البارح حمدان بن عثمان خوجة المتوفى سنة 1836م باستانبول كتاب حول الأوبئة سماه (إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء) يذكر فيه تجربته مع الوباء في الجزائر وسبل الوقاية منه ومنها الحجر الصحي أو ما كان معروفا باسم (كرنتينه) فيقول رحمه الله: (...) عند وقوع الوباء يلتزمون عدم الاختلاط بالناس، ويلزمون ديارهم، فلا يصاب لهم أحد بإذن الله، وتكرر ذلك واطردت السلامة، وأنا العبد الحقير حضرت وقوع الوباء بالجزائر نحو عشرين سنة كما سبق والتزمت التحرز بأقل مما يحتاط الفرنج، فكنت أصلي الجمعة وأحضر جنازات أصحابي من غير أن أقتحم مجتمع الناس، ومن غير أن أمس أحداً، ولا قماشاً، ثم ارجع، فأبتخر، فسلمني الله أنا وجميع من معي، وبمثل هذا تثبت التجربة... (53).

إلا أن هذا الاحتراز والوقاية وعدم الاختلاط بالناس عند حلول الوباء لم يكن معمولاً به عند أكثر السكان الجزائريين، ولا عند حكاهم، بحجة أنها إجراءات الدول الكافرة، إضافة إلى أنها من عقائد الكفار، وتدنيس لعقيدة المسلمين، وأنه يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر حسب زعمهم.

ففند حمدان بن عثمان خوجة حججهم تلك بالأدلة والبرهان، وذكر أنه ألف رسالته - السابقة الذكر - لبيان خطأ المسلمين وإهمالهم في صيانة أرواحهم، وذم تعصبهم، فيقول: (ولما رأيت الخلل الداخل على المسلمين بإهمال مثل هذه القواعد وإنكارها، والتزام التقشف والتعصب في عدم دفع المضرة حتى شدد البعض النكير على الذين يستحسنونها - يعني الحجر الصحي - وعدوا ما يطرأ لهم من المضرة قربة يحتسبونها ... فكنت رأيت بالبلاد الفرنسية انتظام أمورهم واعتنائهم بأمور السياسة في صيانة جمهورهم خصوصاً حيث التزموا لدفع الوباء عنهم ما جربوه من الاحتماء والاحتراز بالاستقراء في عدم إدخال الداخل إليهم إلا بعد تحقق البراءة أو الاستبراء، وجعلوا بذلك حكماً في أماكن حصينة مع غاية الاحتياط، وسموا ذلك كرنتينه، فأصابوا في بعض ما فعلوا وأخطأوا في إسنادهم التأثير للأسباب حتى كان موجبا لنفرة المسلمين عن كل ما فعلوه عوضاً عن نفرتهم عن خصوص ما اعتقدوه في هذا الباب، وأيم الله إنه لغلط، والمبالغة في التعصب فقط إذ لا تستباح نفوس بني آدم مع التمكن من صيانتهم بمجرد سبق الكفار لهذا الاحتياط الواجب، وهو لا يتعلق بديانتهم) (54).

وهذا الاحتياط الغربي في نظام الحجر الصحي أو فرض حزام صحي على المناطق الموبوءة، وتفتيش السفن التجارية الآتية إلى الجزائر، وضرورة حيازة على شهادة صحية تثبت عدم وجود المرض، وإلزام جميع السفن القادمة إليها بالحجر داخل سفنهم في مدة ما بين عشرة إلى عشرين يوماً، سواء لأطقم السفن وعلى السلع والبضائع أيضاً قبل النزول للميناء والاحتكاك بالغير.

لم يكن معمولاً به عند أغلب الحكام العثمانيين في الجزائر، بل تعدى الأمر إلى أن أمر بعض الدايات بتفتيش تلك السفن وهي على البحر، مع تنبيههم بأنها حاملة للوباء كما وقع للداوي علي خوجة في وباء سنة 1817م رغم تنبيه القنصل الأمريكي بالجزائر يومئذ وليام شالر.

أو تمثل إهمالهم في مراقبة تلك المراكز الوقائية التي فرض عليها الحجر الصحي كما في حدث في وباء 1789م لما فر العديد من البحارة الأتراك فاتصلوا بالسكان مما أدى إلى انتشار الوباء بين السكان في جميع مناطق الجزائر، ومكث في الجزائر

(53) ينظر: إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء (ص 33).

(54) ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء (ص 3-4).

أكثر من عشر سنوات.

سادسا- الهبة الشعبية والتضامن الاجتماعي أيام وقوع الوباء والطاعون في الجزائر: يقول المؤرخ العربي زيري: (عندما أصابت الجزائر مجاعة التي أضرت بسكان بلد قسنطينة، ودام الحال ثلاث سنوات متوالية الأمر الذي حتم على السكان فتح مطامرهم وتوزيع ما كانوا قد خزنوه من حبوب على إخوانهم الضعفاء).

كما يذكر الدكتور أرزقي شويثام أن سكان مدينة الجزائر العاصمة كانوا يشيّدون بأموالهم الخاصة مرافق عمومية كتخصيص قاعة خارج باب الوادي يلجأ إليها الفقراء وعابري السبيل لقضاء الليل، مع توفير الغذاء والعشاء لهم.

سابعا- استعمال الطب الحديث في العهد العثماني بالجزائر كان قليلا جدا، وهذا ما نراه من خلال كتابات المؤرخين والرحالة الغربيين فقد أجمعوا أن الجزائر كانت تفتقر إلى المستشفيات والمراكز الصحية إلا مصحة زنقة الهواء، وملجأ الأمراض العقلية بالجزائر العاصمة، خلافا على ما عليه البلدان المجاورة تونس والمغرب ومصر وحتى استانبول (دار الخلافة). وكذا لم تتوفر في الجزائر على الصيدليات إلا على صيدلة واحدة في العاصمة حسب ما ذكره حمدان خوجة⁽⁵⁵⁾.

وأما الأطباء الجزائريون المختصون في الطب الحديث فكانوا قلة، أحصاهم وترجم لهم الدكتور مصطفى خياطي في كتابه (الطب والأطباء في الجزائر العثمانية) فبلغوا خمسا وعشرين طبيا⁽⁵⁶⁾.

من أشهرهم: الطبيب والصيدلي الجزائري عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش المتوفى سنة 1785م، ومحمد بن سليمان بن الصايم التلمساني المتوفى بعد سنة 1658م، ومحمد بن أحمد الشريف الحسني المتوفى بعد سنة 1737م، وأحمد بن قاسم بن ساسي البوني مات سنة 1727م وغيرهم⁽⁵⁷⁾.

خلافا للأوروبيين المتواجدين في الجزائر، فقد كانت لهم مستشفيات خاصة بهم كالمارستان العام الذي أنشأه القسيس الإسباني سيستيان دو بور سنة 1551م، والذي يعد أول مستشفى مسيحي بالجزائر، ومستشفى لازارست الذي خصص له الملك الفرنسي لويس السادس عشر بعض الإعانات المالية، والمستشفى الفرنسي في مدينة القالة شرق الجزائر التي تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية، وكان للإسبان والإنكليز والدانمارك مستشفيات خاصة بهم في الجزائر على نفقة دولهم أو حتى كنائسهم⁽⁵⁸⁾.

وأفادت بعض المصادر الفرنسية أن من جملة الأطباء الفرنسيين الذين أقاموا في الجزائر في هذه الفترة الطبيب مارتيناغو ذو الأصول الإيطالية، والطبيب أودراس، والطبيب أسنتي، والطبيب مياردي، والجراح روبرت هيروسم دوربول وغيرهم⁽⁵⁹⁾. بل بعض الأطباء الفرنسيين دخل في الإسلام، وصار يرتدي اللباس العربي، وفتح عيادة طبية كالطبيب الفرنسي سليمان في فترة ما بين 1641م-1647م⁽⁶⁰⁾.

وأما بالنسبة إلى غالب دايات العهد العثماني وباياتهم وحاشيتهم فكانوا مهتمين بأنفسهم وحاشيتهم كان لهم أطباء

(55) ينظر: حمدان خوجة، إتحاف المنصفين ... (ص 136).

(56) ينظر: الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، مصطفى خياطي، (ص 117-128).

(57) ينظر: Show, Voyage Dans La Regence D' alger, p 81. والطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد

العثماني، بوحجرة عثمان، (ص 25-28).

(58) ينظر: ناصر الدين سعيدوني،، (ص 127).

(59) ينظر: تاريخ الطب في الجزائر، مجاهد يمينة (ص 59). الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان (ص

30-31).

(60) ينظر: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان (ص 31).

أجانب أو ما يختارونهم عادة من الأسرى الأوروبيين من كانت له دراية بالطب والجراحة، فقد ذكر الرحالة والطبيب الألماني ج. أو. هابنسترايت في رحلته إلى المغرب العربي سنة 1732م أنه كان يعالج كبار الشخصيات وخاصة الداوي محمد كور عبدي وابنه آغا العرب⁽⁶¹⁾.

وكان الطبيب الهولندي صانسون في خدمة باي قسنطينة حسين بوكمية في حدود سنة 1713م، والطبيب الإيطالي باسكال غاميزو كان في خدمة صالح باي قسنطينة سنة 1771م، كما استقدم الداوي علي خوجة طبيباً إسبانياً خوان فرنانديز دي لاس هراس سنة 1817م⁽⁶²⁾.

وقد صرح شونبيرغ أن الداوي حسين -آخر الدايات- كان يرسل أولاده وأسرته إلى طبيب انجليزي يدعى يوهن لتطعيمهم، ويكافئه بالمال.

كما نجد أيضاً أن سيمون بفايفر -والذي كان أسيراً عند أحد وزراء الداوي حسين وهو الخزناجي أفندي (وزير المالية) ما بين سنوات 1825م إلى 1830م- ثم أصبح طبيبه الخاص⁽⁶³⁾.

فظاهرة لجوء حكام الأتراك والأهالي الأثرياء إلى خدمات الأطباء الأجانب نتيجة عدم كفاءة الأطباء المحليين، حسب رأي أبو القاسم سعد الله.

إلا أن بعض الدارسين يرى أن حكام الجزائر العثمانية كانت لهم بعض المجهودات في الجانب الصحي، فحسن آغا بن خير الدين بروسا أمر ببناء مصحة أو مستشفى صغير للانكشارية والشيوخ والعجزة سنة 1544م، وقد أكلت إلى الباش جراح الوقوف على حاجيات الجنود الصحية والتصدي لأي مرض، وأن السلطة العثمانية كانت تشجع الزوايا التي تتكفل بالصحة العمومية وتدفع لها مصاريف المرضى من الأوقاف، وتزويد المدن بالماء وصيانة القنوات وتطهيرها وإنشاء قنوات صرف المياه القذرة، واهتمامهم بتنظيف المدينة والتي كان لها دور هام في الوقاية، وبناء الحمامات، إضافة إلى إعطاء الحرية لمهنة الطب بدون رقابة وبكل حرية وبدون دفع رسوم، هذا كله في إطار السياسة الصحية للدولة⁽⁶⁴⁾.

ثامناً- العلاجات الطبيعية المحلية التي كان يستخدمها الجزائريون في العهد العثماني وقبله لعلاج الأوبئة والطواعين: هو باستعمال التداوي التقليدي (الأعشاب) كاستفادة من نباتات عديدة منتشرة في منطقة القبائل ك: الفليو، والبصل، والنعناع، والسفرجل، والعراعر، والكمون وغيرها، وبعضها تستخدم كمهموم وكما كان يفعل بعصارة شجرة الصنوبر⁽⁶⁵⁾.

ويؤيد ذلك ما ذكره أبو الخير الإشبيلي أن أجود النباتات الطبية كانت تتواجد في بجاية وتاهرت وتلمسان، والتي يجلب الكثير منها إلى الأندلس⁽⁶⁶⁾.

(61) ينظر: ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتقديم: ناصر الدين سعيدوني (ص 23-24). الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان (ص 36).

(62) ينظر: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان (ص 34-35، 38).

(63) ينظر: أ. ف. شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ترجمة: أبو العيد دودو، (ص 51-52). سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة: أبو العيد دودو، (ص 25-26). نور الدين حاروش، إدارة المستشفيات العمومية الجزائرية، (ص 95). تاريخ الطب في الجزائر، (ص 35).

(64) ينظر: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان (ص 74-82).

(65) انظر: الطب في الجزائر خلال العهد العثماني (ص 22)، الأمراض والأوبئة في الجزائر في أواخر العهد العثماني (ص 50).

(66) انظر: عمدة الطبيب في معرفة النبات 699/2.

وأما طريقة استعمال تلك الأعشاب الطبية والرياحين بتعطير الثياب، والقضاء على الهواء المعدي الموجود بها، فكانت بعد تنظيف البيوت من القاذورات، وكنسه، ثم رشه بالخل وماء الورد، ويخمر بالصندل والعراعر وما تقدم ذكره وسط المنازل، ثم يعلق الياقوت والنارنج والبصل والنعناع والتفاح⁽⁶⁷⁾.

كما كانوا يلتجئون إلى الأماكن العالية والمرتفعة كالجبال والسهول حيث الهواء النقي ففي وباء سنة 1816م والذي دام أكثر من أربع سنوات وعم جميع مناطق البلاد، جعل سكان بجاية وجيجل يفرون إلى الجبال والأماكن العالية. كما لا ننسى استخدامهم للرقية وقراءة القرآن الكريم والأذكار والأدعية كوسيلة لمعالجة الأوبئة والأمراض، فقد بعث الباي حسن بن موسى إلى الداوي حسين -آخر الدايات- راقياً كان قد أمره ببعثه إليه رجاء بركته حسب زعمهم، ونرى بعضهم انتهج سبيلاً آخر وهو زيارة قبور المرابطين والأولياء الصالحين ويعتقدون أن قبورهم مجلبة للشفاء والعلاج - وهذا من الشرك والجهل في ذلك الوقت.

تاسعاً- تأثيرات الوباء والطاعون النفسية على الحكومات والأشخاص:

من الأمور التي تتكرر في المصادر التاريخية إبان كل حديث عن الأوبئة والمجاعات التي حدثت في الجزائر في العهد العثماني الإشارة إلى تأثيراتها الكبيرة على الحكومات والمواطنين معاً، لأنه يعقبها مباشرة قحط شديد، وارتفاع في أسعار المواد الغذائية بسبب ندرة المواد والسلع في الأسواق، ونفاذ الأقوات، أو احتكار من طرف التجار، فيكون سبباً في شلل الحياة الاقتصادية وضعف العملة وانخفاض قيمتها، وانتشار ظاهرة الدين والسلف والرهن التي يلجأ إليها الناس، مع ظهور اللصوصية وكثرة المتسولين.

فنجد بعد الوباء أو المجاعة مباشرة -حسب المصادر التاريخية- وقوع التمردات والثورات سواء من الجيش الانكشاري كما في عهد الداوي عمر باشا، وأدت إلى إعدامه، أو ثورات شعبية في شتى مناطق البلاد يضطر خلالها الداوي والحاكم إلى اضطهادها وقمعها بقوة السلاح كما في عهد الداوي محمد بن بكير.

إضافة إلى العامل النفسي وهو قلق الناس وهلعهم، فيدفعهم ذلك إلى تخزين المواد الغذائية واحتكارها لمواجهة الطوارئ، فيكون عاملاً آخر من صنع الإرادة البشرية، وعلى هذا يذكر الدكتور الحسين بولقطيب في كتابه (جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين) في أثناء كلامه على طاعون سنة 571هـ/ 1175م والذي أصاب المغرب العربي والأندلس واستمر لمدة سنة كاملة، كان يهلك يومياً ما بين 100 إلى 190 شخصاً. فيقول رحمه الله: (... وكان له - يعني هذا الوباء - تأثيراته النفسية بلغت حداً كان الناس يموتون فيه من غير مرض، حتى إن الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه وأهله (...)⁽⁶⁸⁾.

ولهذا كانت مقولة الطبيب ابن سينا المشهورة: "الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء".

ومن جملة الأسباب والآثار النفسية والاجتماعية التي تعقب الأوبئة والطواعين حدوث المجاعات وسببها قلة اهتمام الناس بادخار وتخزين الطعام، يقول المؤرخ ابن خلدون رحمه الله: (الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات، فغلا الزرع، وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا، وكان

(67) انظر: المجاعات والأوبئة في الجزائر في المغرب الأوسط، مزدور سمية، (ص 172).

(68) ينظر: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين (ص 55).

بعض السنوات الاحتكار مفقوداً فشمل الناس الجوع⁽⁶⁹⁾.

الخاتمة:

لقد تبيننا خلال هذه الدراسة كيف أن الأوبئة ظلت مصاحبة للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني في فترة الدايات، بل كانت أحيانا تمتد لعدة سنوات متتالية، تشمل جميع المناطق أو أغلبها. على أن ما تجب الإشارة إليه هو أن أغلب المصادر والمراجع التاريخية تهتم بالمناطق الشمالية والمناطق الكبرى كبابلك الشرق (قسنطينة)، وبابلك الغرب (وهران) دون البوادي والمناطق الصحراوية الجنوبية، وهذه ثغرة مهمة في كتب التاريخ لا تتطرق إليه غالباً. كما يجدر التنبيه إلى دور الحكومة في التصدي والتخفيف من ظاهرة الأوبئة بإغلاق الموانئ البحرية، وإلزام الناس بالحجر الصحي حفاظاً على أنفسهم من انتقال العدوى، مع توفير الغذاء والحاجيات الأساسية كالقمح والشعير وغيرهما، ومحاربة ظاهرة الاحتكار كان يختلف سلباً وإيجاباً حسب نشاط الدايات وقوتهم وضعفهم. ورأينا الآثار السلبية للأوبئة والطواعين في كثرة الموتى ومصاحبة الأوبئة الأخرى كانتشار الجراد والجوع، وتمرد القبائل وحتى الجيش الانكشاري على الدايات مما يوجب قتلهم واغتيالهم.

References:

- Hamdan bin 'Uthman Khawbah, *Ithaf al-Musannifin wa al-Adba' bi Mabath al-Ihtiraz*, England: University of Britain, 1892.
- Nur al-Din Hawarsh, *Idarah al-Mustashfiyat al-'Umumiyyah al-Jaza'ir*, Algeria: Sharikah Dar Katamah li al-Nashr, 2008.
- Abu al-Qasim Sa'd Allah, *Abhath wa Ara' fi Tarikh al-Jaza'ir*, Algeria: Dar al-Basa'ir li al-Nashr, 2007.
- Altar 'Aziz Samah, *Al-Atrak al-Uthmaniyyun fi Shama'il Afriqiyya*, translated by Mahmud 'Ali 'Amir, Beirut: Dar al-Nahdah al-'Arabiyyah, 1989.
- Stephen, Jimmy Wilson, *Al-Usari al-Amrikiyya fi al-Jaza'ir*, translated by: Ali Tablit, Algeria: Thala Publications, 2008.
- Hamoudi Hoda dan Mesbahi Hizia, *Al-Amrad wa al-Awba'iyyah fi al-Jaza'ir Awakhir al-'Ahd al-'Uthmanni*, Risalah 'Ilmiyyah Amaliyyah Muqaddimah li Nail al-Majistir fi Tarikh al-Hadith, Jami'ah al-Bouira, 2018.
- Mustafa Khayati, *al-Awba'iyyah wa al-Maja'at fi al-Jaza'ir*, (translated by) Hadriya Yousfi, ANEP Publications, 2013.
- Mubarak bin Muhammad al-Mili al-Hilali. *Tarikh al-Jaza'ir fi al-Taqqim wa al-Hadith* Algeria: National Book Foundation, 1989.
- Abu Al-Qasim Saad Allah, *Tarikh al-Jaza'ir al-Thaqafi*, Algeria: Al-Basaer Publishing House, 2007.
- Mujahid Yamina, *Tarikh al-Tibb fi al-Jaza'ir fi Zill al-Isti'mar al-Farance*, Thesis PhD, University of Oran, Algeria, 2018.
- Logie de Tassi, *Tarikh Mamlakah al-Jaza'ir*, (translated by): Lakhdar Boutaba, Algeria:

(69) ينظر: مقدمة ابن خلدون (ص 282).

Dar Kawkab Al-Ulum, 2023

Ibn Khatima Ahmad bin Ali Al-Andalusi, *Tahsil Gharad al-Qasid fi Tafsil al-Marid al-Wafid*, (ed.). Muhammad Hassan, Tunisia: Tunisian Academy of Sciences, Literature and Arts, Bayt Al-Hikma, 2013.

Abdul Rahman Ibn Khaldun, *Tarikh bi Ibn Khadun wa Rihlatih Gharban wa Sharqan*, Beirut: Lebanese Book House for Printing, 1979.

Abdul Malik bin Zuhri Al-Andalusi, *al-Taysir wa al-Mudawah wa al-Tadbir*, (ed.), Ahmed Farid Al-Mazidi, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition, 2007.

Le Maghreb avant la prise d'alger 1790-1830. L. Valensi

Jean Marchika .La Peste en Afrique Septentrionale

Voyage Dans La Regence D' alger .Show

الجزائر خلال القرن الثامن عشر، جون ميشال فونتير دو بارادي، ترجمة: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم، الجزائر، سنة 2023م.

جوانح وأوثنة مغرب عهد الموحدين، تأليف: الحسين بولقطين. منشورات الزمن، الرباط، المغرب، سنة 2002م.
رحلة إلى إيالة الجزائر، جون أندري بيسونال، ترجمة: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم، الجزائر، سنة 2023م.
دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، أرزقي شويثام، دار الكتاب العربي، الجزائر، سنة 2010
دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تأليف: محمد بن يوسف الزياي. تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر، ط1، سنة 2013م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، سنة 1418هـ/1997م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، سنة 1407هـ/1987م.

الطب في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. إعداد الطالبتين: يونس فهمية، وعثمان سلوى، رسالة علمية لنيل الماستر في التاريخ، جامعة البويرة، الجزائر، سنة 2016م.

الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، مصطفى خياطي، منشورات ANEP.
الصحة والسكان أثناء العهد العثماني، فلة موساوي القشاعي، رسالة علمية (دكتوراه)، جامعة الجزائر 2، سنة 2005م.

الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني، بوحجرة عثمان، رسالة علمية (ماجستير)، جامعة وهران، الجزائر، سنة 2015م.

عمدة الطبيب في معرفة النبات، أبو الخير الإشيلي، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، سنة 1995م.

كتاب الأغذية (النشاط والقوة والشفاء في الأغذية)، عبد الملك بن زهر الأندلسي، تعليق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1998 م.

المتوسط والعالم المتوسطي، فرنان بروديل، ترجمة: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي، بيروت، سنة 1991م، ط1.

المجاعات والأوثنة في المغرب الأوسط 588هـ-927هـ/1192م-1520م. إعداد: مزدور سمية، رسالة علمية

- لنيل الدكتوراه، جامعة قسنطينة، الجزائر، سنة 2009م.
- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف. تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974م.
- مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تأليف: سيمون بفايفر، ترجمة: أبو العيد دودو، الشبكة الوطنية للنشر، الجزائر، سنة 1974م.
- مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م. ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م.
- مقتعة السائل عن المرض الهائل لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ط 1، سنة 2013 م.
- واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو موسى الزياني، طبع بمطبعة الدولة التونسية، سنة 1279هـ. صورة من مطبوعات جامعة أكسفورد سنة 1880م.
- وصف إفريقيا، الحسن بن محمد الوزان الزياني الفاسي، ترجمة: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، سنة 1983م.